تحليل الخطاب الفائق

(من الشفهية إلى التواصل الإلكتروني)

أ.يحيى صالح بوتردين
جامعة قاصدي مرباح–ورقلة.

الملخص:

تشكل ظاهرة النص الفائق (التكويني، المرقّل) مجالا خصبا للبحث والدراسة، ولاسيما وأنها مسالة تحمل نظرة جديدة إلى قضايا اللغة، والكتابة، والقراءة ومكانة المؤلّف والقارئ باعتبارها جميعا تحمل دلالات خاصة لدى الجيل الجديد مغايرة لما كانت عليه لدى الأجيال ما قبل الثمانينيات من القرن الماضي.

والمداخلة عبارة عن رؤية تنطلق من الواقع وتعرض لمجموعة من القضايا التي أثارها مجموعة من المهتمين بالموضوع كنبيل علي وحسام الخطيب وغيرهما باعتبارها معطيات تمس موضوع تحليل الخطاب، سواء في حقل الإبداع أو التواصل، ويتأثر بما أحدثته تكنولوجيا المعلومات من خلخلة في المفاهيم وتغير في الأدوات الإجرائية لمقاربة النصوص. وهو ما طال معجم الاستعمال المصطلحي، حتى أصبحنا نتعامل بألفاظ مثل القراءة الإلكترونية التفاعلية والذكاء الاصطناعي والخطاب المرقّل أو الفائق أو التكويني ...إلخ. مما يستدعي الحديث عن عهد جديد لتحليل الخطاب، فهل سيتم اغتيال القراءة بعد أن أعلن عن اغتيال كل من النص والمؤلّف ؟

مقدّمة:

بسم الله عظيم السلطان ومعلّم البيان، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام ...وبعد،

تأتي هذه المداخلة، وعنوانها: تحليل الخطاب الفائق (من الشفهية إلى التواصل الإلكتروني)، رغبة منا للإسهام في أعمال هذا الملتقى العلمي من خلال المحور الخاص بأنواع الخطاب على ما يكون قد قيل فيه، وذلك إيمانا منا بضرورة تجديد النظر إلى الموضوع والتأصيل له في إطار روح العصر ومفاهيمه وأدواته، وبخاصة في مسألة تحديد مفهوم الخطاب وأنواعه وأشكاله، وهدفنا هو لفت الانتباه إلى شكل من أشكال الخطاب التي أفرزتها ثقافة عصر المعلوماتية، لا يزال _برأينا_ بعيدا عن اهتمام كثير من الباحثين عندنا في الثقافة العربية، ألا وهو الخطاب/ النص الفائق (HYPRTEXT) أو المرقّل (HYPERMEDIA) وقد قصدنا أن تكون محاولتنا هذه نابعة من الواقع وبعيدة عن التقليد.

من أجل ذلك، اعتمدنا مجموعة من المراجع نعدّها أصيلة في بابها ومتجدّدة في آن واحد، تناولت الموضوع من زوايا مختلفة، تخدم في النهاية جملة الأفكار التي تراءت لنا، نذكر منها: كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات؛ لنبيل علي، نشر سلسلة عالم المعرفة، حيث يتعرّض إلى المفاهيم المحدثة في علم الكتابة والقراءة والاتصال والتي أفرزتها أوضاع جديدة وغير مألوفة من التواصل والخطاب، كالتواصل الإلكتروني والتخاطب عن بعد والإعلام المتعدّد والذكاء الاصطناعي...إلخ. وهو ما يؤكّده كتاب آخر لحسام الخطيب، عنوانه الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرّع، حيث يعرض لمعضلة الآلة المعلوماتية وخدماتها في مجال الأدب والقراءة والإبداع، وهو ما يثير التفكير حول مستقبل القراءة في ظل الآليات والمفاهيم الجديدة من نص فائق /مفرّع / تكويني / مرقّل...إلخ. هذا بالإضافة إلى كتاب ثالث مترجم لـ: والتر أونج (Walter J .Ong) عنوانه: الشفاهية والكتابية، ترجمه حسن البنا عز الدين، وهو من نشر سلسلة عالم المعرفة أيضا، يعنى فيه صاحبه بتطوّر أنواع الخطابات وتنوّعها من الشفاهية إلى الكتابية، مما يتماشى والخط الذي رسمناه لهذه المداخلة من التعرّض لمثل هذه المفاهيم من حيث تطوّرها خاصة. أما في جانب الدوريات فقد وجدنا دورية متخصّصة في علم الكومبيوتر والإنترنت، بعنوان: (PC Magazine) النسخة العربية، والتي تحمل كثيرا

من المستجدّات في نطاق المصطلحات والمفاهيم التي تتعلّق بعالم الاتصال الإلكتروني واللغويات الحاسوبية، هذا دون أن نهمل ما أفدناه من مقالات إلكترونية متفرّقة من شبكة الإنترنت، تناقش هذا الموضوع أو بعض جزئياته.

إنّ الإشكالية التي تطرحها هذه المداخلة تتمثّل في السؤال عن ماهية الخطاب الفائق؟ وكيفية التعامل معه في إطار مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب؟ من أجل ذلك رأينا أن نبني هيكل المداخلة على العناصر الآتية:

لماذا الحديث عن الخطاب الفائق ؟

ما هي مرجعيات هذا المفهوم ؟

هل للخطاب الفائق تحليل متميز ؟

تمهيد:

يشكّل الخطاب ظاهرة في عالم التواصل الإنساني من خلال التمظهرات المتعددة له في كل لسان وعلى مرّ الأزمان، والخطاب اللغوي نص مهما اختُلِف في اعتباره كذلك من عدمه. لأنّ المتخاطبين إنّما يتداولون موضوعا ومادة محسوسة وواضحة المعالم والحدود، وهو ما يضفي صفة النصية على أي خطاب لغوي إنساني وإن كان شفويا.

والخطاب (النص) الفائق (HYPERTEXT) أو المتشعّب(1)، هو نوع من الخطاب أصبحت تطالعنا به نظم الاتصال الإلكتروني مؤخرا، واعتبر مجالا خصبا للبحث والدراسة، ولاسيما وأن المسألة تحمل نظرة جديدة إلى قضايا اللغة، والكتابة، والقراءة ومكانة المؤلّف والقارئ باعتبارها جميعا تحمل دلالات خاصة لدى جيل المجتمع الجديد (الإلكتروني)، مغايرة لما كانت عليه لدى الأجيال ما قبل الثمانينيات من القرن الماضي.

والمداخلة عبارة عن رؤية تنطلق من الواقع وتعرض لمجموعة من القضايا باعتبارها معطيات تمس موضوع تحليل الخطاب، سواء في حقل الإبداع أو التواصل، وتتأثّر هذه المعطيات بما أحدثته تكنولوجيا المعلومات من خلخلة في المفاهيم وتغيّر في الأدوات الإجرائية لمقاربة النصوص، وهو ما طال معجم الاستعمال المصطلحي، حتى أصبحنا نتعامل بألفاظ مثل القراءة الإلكترونية التفاعلية والذكاء الاصطناعي والخطاب المرقّل أو الفائق أو التكويني ...إلخ. مما يُنذر بعهد جديد لتحليل الخطاب، فهل سيتم اغتيال القراءة بعد أن أعلن عن اغتيال كل من النص والمؤلّف(2)؟

لماذا الحديث عن الخطاب الفائق؟

يبدو أنّ بعض المتعاطفين مع العربية قد أعياهم الحرف العربي وما يحمله من جذور ثقافية عريقة، حين أطلّ عليهم اليسار الثقافي بخطاب تحليل الخطاب ضمن طروحات الحداثة في ثوب قشيب تزهو به ألوان الطيف بما يحمله من أنواع النظريات والفلسفات الموحية بالجدة ونبذ التقليد، فأخذوا يلتهمون هذه المعرفة المحدثة التهاما حتى الثمالة، حتى كادت أن تؤدي بهم إلى الانسلاخ، شأن ذلك العطشان الذي أراد أن يسد رمقه برشفة ماء بارد فقتل نفسه حين استهوته رطوبة الماء البارد. على أن البعض تلقوا تلكم النظريات بوعي فاستلهموا منها ما جعلهم يجتهدون بحثا عن سيماء لهذه الأفكار والرؤى الجديدة في تراثنا القديم(3). وليس غريبا أن يضاف إلى ذلك ما ميّز مفهوم الخطاب، باعتبار شكله ومضمونه وأنواعه، في طروحات هؤلاء من الوفاء لتلكم المعالم المفهومية التقليدية التي تقصره (الخطاب) على مظهري الشفاهية والكتابية، مما يفيد أن المرجعية الوحيدة التي اعتمدها هؤلاء في تحديد مفهومه، هي الشعر والنثر العربيين أو الغربيين.

بالإضافة إلى أنّه قلّما نجد في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة، سواء في نطاق المقاربة النقدية اللسانية أو التعليمية أو البحثية، من يهتم بما أحدثته ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال بصفة عامة من نظم حديثة للتخاطب والتواصل، والتي أدت بالقوة إلى خلخلة في المفاهيم العامة المتعلّقة باللغة عموما، وبالتالي بالخطاب وأشكاله بصفة خاصة وبصورة ملفتة للنظر ومستوجبة للبحث والدراسة في الآن ذاته. ولعلّ الذي ساهم في هذا الوضع هو كون التكنوقراطيين في مجتمعاتنا قد احتكروا سلطة الخطاب السمعي والبصري والرقمي أو المعلوماتي –كما يقول نبيل علي– مما جعل قضايا الثقافة تذوب في بوتقة التفصيلات الفنية (التقنية)(4)، وذلك على عكس ما هو عليه الوضع في الغرب.

وعليه، فلا يُعقل أن يُتناول موضوع تحليل الخطاب في ظل ثقافة تكنولوجيا المعلومات دون البحث عن الدور الذي أسهمت به هذه الأخيرة في بلورته والتأثير فيه، أو تحديد صيرورته. لأن هذا الإسهام أو التأثير إنما أصبح حقيقة وواقعا ملموسا على مختلف الأصعدة، على أساس كون هذه الثقافة أصبحت تمثل المظهر العام للحياة المعاصرة، ليس في الغرب فحسب، بل في البلاد العربية وسائر العالم أيضا.

إنّ المكونات الأساسية لتكنولوجيا المعلومات، تنبئُنا بأنّ فكرة الاتصال (التواصل)(5) لم تعد بالصورة التقليدية التي تقتضي وجود مرسل (إنسان) ومرسَل إليه (إنسان

آخر) ورسالة (موضوع الخطاب)، كشرط لتشكيل مفهوم الخطاب كممارسة لغوية على الأقل؛ وإنّما أصبح الأمر يتعلّق بحوار الآلة مع الإنسان والتفاعل بين العالمين الإنساني والمادي، مما يفرز لنا مفهوما جديدا تماما للخطاب، وبخاصة عندما طُوِّرت أنظمة الحاسوب وبرمجياتها القائمة على التكنولوجيا الرقمية، حيث انتقلت من كونها آلة لمعالجة البيانات Data processing وهو ما يعبّر عنه بالعصر الحجري لأنظمة الحاسوب، إلى كونها آلة لمعالجة المعلومات Information processing، ثم إلى آلة لمعالجة المعارف Knowledge processing وهو ما انتهت إليه الأجيال المتأخرة منها خاصة، حيث أصبح الحاسوب –يتمتع– بخاصية الذكاء الاصطناعي التي تجعله قادرا على الاستنساخ واستخلاص الأحكام...وهو ما يفسّر وجود برمجيات وأنظمة يطلق عليها عبارة النظم الخبيرة (Expert systems). لأنّها –كما يقول نبيل علي–: «تقرأ وتسمع وترى وتميّز المسافات والأشكال، وتفهم وتحلّل وتحل المسائل وتبرهن النظريات وتتخذ القرارات، بل تؤلّف النصوص وتولّد الأشكال أيضا...»(6).

فهلاّ أمكن لنا أن نتحدّث عن شكل جديد ومتميّز من أشكال الخطاب، في ظلّ هذه البيئة الجديدة من التفاعل بين الآلة والإنسان؟ وإلى أي مدى يمكن أن نتحدّث عن منهجية لتحليل الخطاب الذي تكون فيه الآلة طرفا؟

لقد كان الخطاب قبل أن تكون الكتابة. فالخطاب اللغوي في الثقافة الإنسانية عامة والعربية خاصة، إنّما بدأ شفهيا ذو مؤلّف معروف واحد فمتعدّد وسامع واحد أو متعدّد؛ إلاّ أن الذي تعلّمناه من نمط التأليف لدى القدامى باعتبار تكوّن النص من عدة متداخلات نصية كالشروح والحواشي والتعليقات والتحقيقات...إلخ، أن مفهوم النص ليس ذلك التتابع الخطي للكلمات والجمل والفقرات، وإنما هو أيضا تداخل لمستويات مختلفة من النصوص بحيث تشكل خطابا تكوينيا تمتزج فيه أداءات لغوية مختلفة في أشكال خطوطها وألوانها كما تختلف في أزمنتها ودلالاتها، وبالتالي فإنّ القارئ يكون بصدد مجموعة من النصوص والدلالات والخطابات وإن يكن الكتاب أو الصفحة التي تحملها واحدة.

إنّ هذا الوضع التقليدي هو عينه الذي يتكرر اليوم مع تكنولوجيا المعلومات حيث تمتزج ألوان من النصوص والخطابات المتشابهة والمختلفة شكلا ومضمونا وزمنا ومصدرا، وتصبح تقنية الارتباط التشعبي وسيلة فعّالة لتقليب صفحات هذا النص الجديد، وإن لم يكن تقليبا على الحقيقة، فإنّه انتقال بين الصفحات بطريقة تشعّبية وليس خطية، إذ بإمكان القارئ

أن يتنقّل وبسهولة بين صفحات تفصلها آلاف الأميال من المسافات عبر شبكة الإنترنت وهو يتصفّح نصا لغويا فائقا، كما أنّه باستطاعته أن يبحث في مراجع موصولة بالشبكة ليشرح أو يفهم بعض غوامضه أو يتعرّف على بعض أعلامه أو يحقّق بعض مسائله وقضاياه أو يتوسّع في بعض جزئياته من خلال الاطلاع على بحوث وتآليف موسّعة ...وهكذا.

لقد بات خطاب الآلة المعلوماتية نصا متفرّعا غير محدود الشكل والمساحة، فهو افتراضي في كل معانيه، ومن هنا فإنّ تحليله ينبغي أن يتخّذ هذه الخاصية الافتراضية اللامتناهية، لأنّ النص التقليدي إذا كان مؤلّفه واحدا مبدئيا فإنّ هذا النوع الجديد متعدد المصدر (التأليف) ومتعدد المنتهى (القارئ/ المتلقّي)، كما أنّه متعدد الأشكال (الأنماط).

وهكذا، فأنّ النص الجديد (الخطاب الفائق) عندما يتعدّد مؤلّفوه من حيث الإنشاء والتكوين والارتباط، كما يتعدد قرّاءه من حيث تنوّع المقاربة والمشاركة والفهم، فإنّه يصبح من تأليف الجميع بالتشارك، وتتلاشى سلطة مؤلّفه الأصل شيئا فشيئا كلّما ازداد تكوينا وتفريعا وتعدد قرّاءه.

إنّ عالم الإنترنت بحر مترامي الأطراف ولا يمكن التنبؤ أو التحكّم في عدد الأشخاص والآلات التي تشارك في نفس اللحظة مقاربة نص أو وثيقة على الشبكة، وبالتالي يصبح الحديث عن المؤلّف حديثا عن متغيّر لا حقيقة له، فكل من يتدخّل في النص وبأي نوع من أنواع المقاربة يمكن أن يكون قد أسهم في تأليفه وتحليله في آن واحد.

إنّ مقاربة الخطاب التكويني ينبغي أن تتم عبر قنوات عدة؛ وإذا كان الخطاب الشفوي يعتمد على قناة السمع فقط في مقاربته وتلقيه، والخطاب المكتوب يعتمد البصر أساسا لكونه يتشكّل عبر الرموز البصرية الكتابية والأشكال والصور، على أنّه لا يتعدّاها، فإنّ الخطاب التكويني يحمل الخصائص المعروفة للغة ويزيد، حيث السمع والبصر والحركة والتفاعل...إلخ لأنّ التواصل الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت يقوم على عنصر التفاعل بين الآلة والإنسان، وتتوزّعه مجموعة من الوسائط المتعددة بحيث تجعل هذا النوع من الخطابات الذي يسميه نبيل علي بـ: التواصل الإنسالي[7] تتداخل فيها الصورة بالصوت والكتابة في تناغم تام، قابل للتحليل بمقاربات متنوعة وعديدة لسانية وسميائية ونفسية وفنية وتقنية معا. أما بالنسبة للتأثير في القارئ فهو من هذا المنظور متعدد المصدر، لأنّه يكون من الآلة والصورة والأشكال أكثر من المؤلّف أحيانا، حسب رأي ولتر .أونج[8].

إنّ ما تؤكّد عليه الوقائع أن الخطاب الذي أفرزته تكنولوجيا المعلومات هو من نوع خاص جدا، فهو خطاب للمعرفة لا التلقي[9]، لأن الإنسان المشارك فيه بتفاعل، إنّما يكون في حالة اكتساب للمعرفة باستمرار وليس مجرّد متلقّ لها من مصدر معيّن، فنظم التواصل الإلكتروني بأجيالها المتطوّرة والخبيرة خاصة، تجعل الإنسان ولو بصفته متلقّيا، عنصرا فاعلا يشارك الآلة في صنع المعرفة وبالتالي يكتسبها، هذا لأنّ خطاب الآلة هذا يكون مفتوحا على المؤلّف والقارئ معا، ويصبحان باثين ومستقبلين في آن واحد. وبالإضافة إلى ذلك فعنصر التفاعل الذي هو ميزة أساسية للخطاب الإلكتروني تجعل المتلقّي يتعامل مع أكثر من متغيّر دلالي يدخل في صياغة الخطاب الأكبر (الفائق)، ومن هنا يكون اكتساب المعرفة وصناعتها.

ما هي مرجعيات هذا المفهوم؟

إذا فهمنا أن ثمة نوعا من الخطاب يحمل اسم الخطاب الفائق وله خصائص متفرّدة هي كونه خطابا للمعرفة لا التلقّي، وكونه يتكوّن باستمرار لا متناهي، ويتقاطع مع غيره من الخطابات بحيث يتكون منها مجتمعة، ليصبح بذلك كلّه نصا مفتوحا ومتناميا، فإنّ السؤال الذي يمكن أن يطرح هاهنا هو: ما هي المرجعيات التي يمكن أن نجد فيها جذورا لهذه المفاهيم التي تعبّر عنها هذه الخصائص المختلفة ؟

أما في الثقافة الغربية، _باعتبارها مهد الخطاب الإلكتروني_ فنلحظ أنّ هناك من النقاد واللسانيين من تحدّثوا عن التناص كخاصية للخطاب اللغوي التقليدي، وهو ما نجده مجسّدا من خلال عنصر الارتباط الذي هو خاصية للخطاب الفائق، لأنّ خاصية الارتباط التشعّبي في شبكة الإنترنت أو في الأقراص المدمجة، والتي بفضلها يتم وصل جزئيات الخطاب الفائق ببعضها، مما يحدث التناص بين هذه النصوص والمواقع والوثائق المتنوّعة والمتعددة، والتي بفضلها أيضا سمي هذا النوع من الخطاب خطابا مرفّلا أي متعدد الوسائط، وهذا التنوّع والتعدّد يعطي هذا الخطاب خواص مختلفة ومتداخلة مثل الانفتاح والحركية والانزياح وهي كلّها معان نجدها في الدراسات اللسانية والنقدية الغربية عند تعرّضها لمسألة التناص –كما رأينا– أو إلغاء المؤلّف وبخاصة لدى أمثال: فليب سولرس، ورولان بارث، وجاك دريدا، وكذا جماعة (تل كل) الفرنسية على وجه الخصوص، وهو ما يشير إليه مفيد نجم[10]على الخصوص، مما يجعلنا نؤكّد على كون التواصل الإلكتروني بمفهومه العام نوعا من الخطاب الذي يستحق العناية والاهتمام ضمن دائرة نظريات تحليل الخطاب.

وما يمكن قوله عن الثقافة الغربية نقوله عن الثقافة العربية، لأنّنا نجد النص القرآني هو أيضا بل ومن باب أولى متّصفا بخاصية الارتباط بين أجزائه، ومن الناحية الشكلية والدلالية معا، لأنّ ما تعرضه سورة ما من موضوعات وقضايا، يمكن أن نجد تكملته في سورة أخرى أو غيرها وهكذا ... شأن قصة موسى عليه السلام أو أحكام المرأة في الزواج والطلاق والميراث على سبيل المثال. ولا يمكن للمرء أن ينجح في تحليل الخطاب القرآني إذن إلاّ بالعودة إلى هذه المواقع من القرآن كلّه على منهج ما يسمى بالتفسير الموضوعي...إلخ. والأمر عينه نجد جذوره في العربية من خلال التأليف الموسوعي في التاريخ والأدب كما في كتاب الأغاني وغيره، أو فن الشروح والحواشي والتحقيق الذي كان سمة الثقافة العربية في العصور الماضية خاصة وهو ما يشرحه حسام الخطيب(11)في موازنة تحليلية شيّقة بين النص المفرّع وأنماط النصوص المماثلة في الثقافة العربية.

وعند الحديث عن الارتباط، نجد خاصية أخرى هي التداخل التي هي سليلة خاصية الارتباط ونتيجة لها، وهي مما نجده واضحا في الخطاب الفائق عندما ينتقل القارئ من سياق سمعي إلى سياق بصري إلى سياق حركي أو من نص أدبي إلى كتاب في التاريخ إذا أراد أن يحقق معلومة، ومنه إلى موسوعة لغوية إذا أراد شرح لفظة أو معرفة قاعدة لغوية ثمّ إلى دراسة نقدية وهكذا... وإذا كان التداخل في نوع الخطاب التقليدي يعطي الاعتبار للجانب الدلالي، فإنّنا في الخطاب الفائق نجد الاعتبار الدلالي والاعتبار الشكلي يتحقّقان معا. ومن هنا أمكن السؤال عن مدى تميّز هذا الخطاب عن غيره في التحليل خاصة؟

هل للخطاب الفائق تحليل متميز؟

لقد كان الإنسان يتعامل مع أنظمة الحاسوب وفق برامج من شأنها تيسير التنظيم والدقة في الإنجاز ...إلخ ولكن الأجيال الأخيرة منها أصبحت قادرة نظريا على القيام بكثير من العمليات التفكيرية المختلفة، في إطار ما يعرف بالذكاء الاصطناعي، فهل باستطاعتنا اعتماد هذه البرامج الخبيرة لتحليل قصيدة أو أيّ نص أدبي منشور على شبكة الإنترنت؟ ثمّ أين نحن من كل هذا في الوقت الذي نجد فيه أدباء أوروبا يكتبون أعمالهم الأدبية مباشرة على الحاسوب دون المرور بالورق ونحن لا نزال نلهث وراء المسودات الورقية التقليدية(12)، لأنّ ذلك ما تتنبأ به بعض الدراسات والتجارب كالتي تحدّثت عنها مجلّة (Pc magazine) إذ تترقّب مستقبلا أن تشارك الحواسيب في إعادة إنتاج القصص والمسرحيات بأسلوب

تفاعلي لتتلاءم مع الثقافة الإلكترونية المحدثة[13]ولربّما ستطلعنا بالجديد الملفت للنظر في أقبر وقت.

على أنّنا وفي انتظار ذلك يمكن أن نشير إلى أن الباحث أو الدارس الذي يقارب نصّا فائقا، فإنّه يقوم في كل الحالات بتحليله، ومن هنا فقد طرح حسام الخطيب مسألة المقاربة التحليلية للنصوص الأدبية الإلكترونية باعتبارها نموذجا للخطاب التكويني، وتبيّن له أن الخصائص النصية أو الخطابية التي كنّا نعدّدها في الفقرة السالفة من ترابط وتناص وتداخل ...إلخ من شأنها أن تيسّر على المرء طريقة القراءة إلكترونيا بحيث تكون استفادته من النص وتجاوبه معه أفضل بكثير منه لو قاربه في صورته الورقية التقليدية، فالانتقال من موقع إلكتروني إلى آخر بهدف تتبع ارتباطات النص إلى روافد مساعدة على شرحه مثلا، يعد مما يضفي على التحليل نوعا من الحركية وبالتالي يمكن أن يتنامى هذا النص مع كلّ قارئ جديد ليصبح خطابا فائقا ومفتوحا وقابلا للتجدّد كل مرّة وهكذا.

لقد قدّم لنا حسام الخطيب نموذجا تطبيقيا هو عبارة عن قصيدة لمحمود درويش[14] أعدّت لتكون صورة للنص أو الخطاب الأدبي الفائق (الإلكتروني) وحاول أن يقدّم تعليقا دلاليا مفرّعا عليها، بحيث توصّل إلى نتائج ذات أهمية، مع ما في هذه الطريقة من مخاطر ومعوّقات، على أنّه أنهى تحليله بقوله: « ليست هذه دعوة (لتكنجة) الأدب، وإنّما هي دعوة للاستعانة بالتكنولوجيا للإسهام في إخراج الأدب من عزلة الرصيف»[15].

الخاتمة:

في نهاية الأمر يمكن القول إنّه ليس بدعا من الأمر وجود الحاسوب أو الانترنت في بيئة تتسم بالتخلّف، لأنّ ذلك أصبح من موضة العصر، وجلّ الناس صغارا وكبارا، أغنياء أو فقراء، يتعاملون معه، كما يتعاملون مع أي منتج برّاق يفد إليهم من الغرب، ولكن الحديث عن نوع جديد من أنواع الخطاب مع السؤال عن كيفية تحليله؟ هو الذي يكون بدعا من الأمر ربّما، لأنّه تبيّن لنا أنّ الوضعية التي ألفها بعض المثقفين بالعربية بخاصة لا تزال ترفض التجديد بمعنى الاستيعاب والتميّز، فهي قانعة بالتقليد واستمراء ما ينقله المترجمون عن الغرب، مما جعلهم حبيسي ما يُقرَّر عليهم من النظريات والمفاهيم وكأنّهم لا يصلحون إلاّ لاستهلاكها. وحسبنا أنّنا حاولنا أن نثير من الإشكالية بعض أسئلتها، على أمل أن يوجد من يخصها بالدراسة والبحث المعمّقين مستقبلا.

الإحالات

(1) وهو في تعريف مجلّة متخصصة في أنظمة الحاسوب والإنترنت، هي (P c magazine) بأنّه: «ذلك النص الذي يحتوي على كلمات ساخنة يمكن بالنقر على أي منها الانتقال إلى نص آخر يحتوي على المزيد من المعلومات عن الكلمة الساخنة التي تفضي إليه وهكذا..» ينظر: (P c magazine)، النسخة العربية، عدد فبراير 1996، ص49.

(2) ينظر: مفيد نجم؛ من اغتيال النص إلى اغتيال المؤلّف، جريدة البيان، دبي، الإمارات العربية، ع57.وفي الإنترنت: (www.albayan.co.ae/albayan/culture/2001/issue57/afaque/).

(3) ونعني بهؤلاء أمثال نبيل علي وحسام الخطيب وعبد السلام رضوان وعبد العزيز حمودة وغيرهم وإن كانوا قلة، ممن حاولوا أن يتميّزوا بطروحاتهم الأصيلة ضد التقليد.

(4) ينظر نبيل علي؛ الثقافة العربية وعصر المعلومات، (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، عدد خاص رقم 265، يناير 2001م، ص67.

(5) إن مصطلحي (اتصال) و(تواصل) من الناحية اللسانية التقليدية يحملان مفهومين مختلفين، باعتبار الوضعية التي يتم بها الخطاب والوضعية التي يكون عليها المتخاطبان ، فإذا وجد المرسل والمرسل إليه معا في حلقة تخاطبية يتبادلان الخطاب، كان الوضع تواصلا لما يتضمنه تواجدهما معا من حميمية ومشاركة، أما إذا غاب أحدهما كما الشأن بالنسبة للخطاب الكتابي عندما يقرأه القارئ في غياب الكاتب، فالوضع يسمى اتصالا. على أن هذا التفريق لم يعد حادا اليوم لما أحدثته الآلة من عنصر التفاعل بين المرسل والمرسل إليه بداية من الهاتف إلى تقنية الإعلام المتعدد.

(6) نبيل علي؛ ص 81.

(7) ينظر نبيل علي؛ ص235.

(8) والتر أونج(Ong.Walter J.)؛ الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، رقم 182، فبراير1994م، ص302-305.

(9) نبيل علي، المرجع السابق، 234.

(10) مفيد نجم؛ (www.albayan.co.ae/albayan/culture/2001/issue57/afaque/2htm).

(11) حسام الخطيب، ص133 وما بعدها.

(12) ينظر: المرجع نفسه؛ ص25-29.

(13) ينظر مجلّة (Pc magasine)، النسخة العربية، عدد مايو 1996، ص29.

(14) القصيدة بعنوان: ذات يوم سأجلس فوق الرصيف، ينظر: حسام الخطيب، ص125 وما بعدها.

(15) حسام الخطيب؛ ص132.